واحـــدان

سُـوف عبيد

الفهرس

واحدان.....1
زهرات المرمر
الشّاي
حمامة
الشجرة وورقاتها
وليمة النمل
سمكة البرّ
رواية أخرى للتفاحة
السيجارة
سفرٌ.....2
الدّيناصورات.....3
بلا وداع.....4
بائعُ الرّصيف.....5
وإذا الزربيّةُ سُئلت.....6
لعبةُ المِرآة.....7
الفُرشاةُ.....8
آخرُ الأغبياءِ.....9
محطّةُ الأشجار.....10
الأدغال.....11
الشّرفةُ.....12
ماري.....19
بُونْجُور بَاريس.....21
بالأحمر على الأبيض المتوسط.....26
سيدي رزيق 1958.....28
باريسيّات.....31
ـ 1 ـ مفاتيح.....31
ـ 2 ـ لمسات.....32
ـ 3 ـ ديك وحمام.....33

ـ 4 ـ صدى الجسر.....34
ـ 5 ـ دمعة النّبع.....35
ـ 6 ـ بُرج إيفل.....36
ـ 7 ـ سوادٌ بياضٌ.....37
ـ 8 ـ بلا عَجب.....38
ـ 9 ـ أجمل من باريس.....39
ـ 10 ـ قاب قوسين.....40
الفاتحة.....41
حُــروفُ اللــمس.....43
القطار الأخير.....46
صباحُ صيف المدينة العتيقة.....48
من وصايا الفارس القديم.....49
شهرزاد الثانية.....50
المُهرة.....52
الفنجان
شهدة
الفستان
صورة.....53
من العتيق.....54
العمارة.....56
كانون.....57
المِشكاة.....59

واحدان

مَعًا...دائمًا...أبدًا
واحِدانِ
العُصفُورُ وَظِلُّهُ
إذَا مَالتِ الشَّمسُ قَليلاً بعد الزّوال
خارجَ اَلْقَفَصِ
يتحوّل الظِلُّ
فَيُرفْرفُ فِي الفَضاءِ
ثُمّ يَسقُط فِي نَفْسِ المَكانِ
قَريبًا مِنَ الْقُضبانِ !

زهراتُ المَرْمَر

نَقْرُ المَطر عَلى زُجاج النّافذةِ
قَطراتُ لُؤلؤٍ
تَنهمِرُ على خدٍّ أسيلٍ
ووَقعُ كَعْبِهَا الصّاعدِ
على مَرمر الدَّرجاتِ
تِكْ...تَكْ...تِكْ...تَكْ
*
كالحَمامةِ رَفْرفتْ جَناحيْهَا
نَفَضتْ مَطَرَيَّتَهَا
رَكَنتْهَا عِندَ العَتبَةِ
ثُمّ هَمّتْ بالمِعطفِ
سَبَقَتْ يداه يدَيها إليهِ
*
تَلامَسَتِ الأناملُ
فَشَعَّ منَ النّافذةِ وَمْضُ البَرْقِ
أضاءَ البُستانْ
وَردٌ وتفّاحٌ ورُمّانْ

مِنْ كلّ فاكهةٍ يَقْطفانْ
تَشابكتِ الأغصانُ بالأغصانْ
صَارتْ جِذْعًا واحدًا
ويَجْنِيَانْ...
*
ساعةٌ ساعتان...
سَكنتْ نَقراتُ المَطرِ
خطوةٌ خطوتان
فَتحتِ البابَ
فَقابلهَا فِي الأفْق قَوسُ قُزحٍ
نزلتْ تميس عَلى وَقعِ كَعبِهَا
تِكْ...تَكْ...تِكْ...تَكْ
عندمَا اِلتفتتْ تُودّعهُ
تَفتّحتْ على دَرجاتِ المَرمرِ
زَهراتٌ
عَلى إِثْرِ خُطاهَا...

الشّاي

الطاولة
الكرسيّ
جلس
حيث جلستْ
طلب
ما طلبتْ
الآن وهنا
كأنّه بين يديها
ظلّ يترشّف
شفتيها

حمامة

ليتَهُ يقُولُ ـ كُنْ ـ
فيكونُ ما يشاءْ
يُحلّق مَعها في السّماءْ
وتمتدُّ أجنحتُه في المَدَى
تِلْوَ المدَى
لتظلَّ في أحضانِهِ
دائمًا
أبدَا...

الشّجرةُ وورقاتُها

آخرُ يوم في الخَريفِ
ورقةٌ أخيرةٌ
ظلّت عالقةً في غُصنِها
قالتْ لها اللّواتي سَقطنَ من الشَجرة
أنتِ خائنة
لمْ تَنزلي معَنا
فقالتْ لها الشّجرةُ
أنتِ وفيّةٌ
بَقيتِ مَعي !

وليمةُ النّمل

الثّمرةُ التي لم تُقطَفْ
لا باكورةً
ولا فِي أَوج فَصلها
فاتَ الأوانُ
فَسقطتْ
وليمةً للنّمل !

سَمكةُ البَرّ

تواعدَا عند الشّاطئ

سَبَقتهُ

وغطستْ في البحر

عندما اِلتفتتْ

وجدتهُ غريقًا

في البَرّ...

روايةٌ أخرى للتفّاحة

ـ متَى نأكل التفَاحةَ ؟

ضَحِكتْ وقالتْ

ـ عندما نغرسُ شجرةَ التفّاح

فقال:

ـ متي نغرسُ شجرةَ التفّاح ؟

ضحِكتْ وقالت :

ـ عندما ندخل البُستان

قال :

ـ متى ندخُل البستان ؟

ضحكت وقالت :

ـ عندما نفتحُ الباب

قال :

ـ ومتي نفتح الباب ؟

ضحكت وقالت :

ـ عندما نصلُ

قال :

ـ ومتى نصل ؟

ضحكت وقالت :

عندما ننزل

قال :

ـ من أين ؟

ضحكت وقالت :

ـ من الجنّة

قال :

ـ إذنْ دعينا هُنا...نظلّ هاهُنَا

ومَا أكلا التفّاحةَ أبدَا ...

السّيجارةُ

بيضاءُ رقيقةٌ
رقيقةٌ رشيقةٌ
سَلّتها أناملُ
أناملُ أنيقةٌ
تبحثُ عن ولّاعةٍ...
أشعلتها
فَأوقدتْ شفتين مِنْ لهيبِ أمنياتْ
مَلأتِ المِنفضةَ
مِنْ رماد القُبلاتْ

سَفَرٌ

الأرضُ
أضيقُ من خُطاها
جناحاهَا
أوسعُ من سماء
وحدهُ قلبُهُ
رَحْبٌ بها

الدّيناصورات

الدّيناصوراتُ
عُصورًا
دُهورا
صالتْ وجالتْ
أكلت الأخضرَ واليابس
طاوَلت شاهقَ الجبال
والباسقات
وطارتْ في السّماوات
ثمّ...ذات زمان هَوت
ومازالت تُرفرفُ
...تلك الفراشة

بلا وداع

لن يطرقَ بابها
التي سعى إليها
أبْدلَتِ القُفل
وحوّلت اِتجاهَ المَدخل...
وحيدًا
عاد برفقة ظلّه
عندَ مَغيب الشّمس
اِستأنسَ بِوقع خُطاه

بائعُ الرّصيف

واقفٌ بالمَطريّات
أو بالمِظلات على الرّصيفْ
شتاءً...صيفًا
وفِي الخريفْ
ليتَ العامَ يَمرُّ
بِلا ربيعْ

وإذا الزربيّةُ سُئلت

كَمْ ...ولابُدّ
مِن صُوفٍ وخَروفْ
من فَلاةٍ ورُعاةْ
من غَزْل
من وَخْزٍ
ومنَ العذابِ ؟
لتسيرَ الأحذيةُ اللمّاعةُ
على الزّرابِي

لعبةُ المِرآة

عَيناكَ تَغزلان وَشْيَ سَعادتِنا
وأنتَ تَبتسمُ لي
الأرضُ والبحرُ يَتّحدان
في جُموح عارم
وإذْ تُقبّلني
يَهزَجُ ثَغري بأغنياتِ الحُوريّات
يُنادين ـ أُوليسَ ـ ليَنضَمّ إليهنّ
في مُروجِهنّ

* مترجمة عن الفرنسية ـ *Jeu de miroir*
للشّاعرة سهام صفر

الفُرشاةُ

أمامَ مَحْمَل اللّوحةِ تَهيّأتْ
ثُمّ تَناولتِ الفُرشاةَ
ليتَها الآنَ على جناح
تُلامس أزرقَ السّماءِ
ليتها في زَورَق تسبَحُ
فِي أزْرقِ اليَمّ
عِندمَا رَفْرَفتِ الفُرشاةُ في الألوان
وهَمّتْ بأوّل لمسةٍ
بَدَا لهَا واقفًا في المدى
...يَنتظرُ

آخرُ الأغبياءِ

ليلةَ سَفَرهِ...كانَ في السّادسةِ

في العَشاء
نَاولتْهُ أمُّهُ شِواءً مِنْ كبِدِ جَمَل
ومنْ قلبِ ذئبِ
كيْ يَكونَ جَلَدًا صَبُورًا
فَطنًا ذكيًّا

لمْ يبكِ عندَ الوداع في ذلكَ الفَجر
لمْ تَجرِ لهُ دَمعةٌ أبَدًا
جَرى ما جرى
رأى ما رأى
فتحمّل الجَملُ ولا يومًا اِشتكى
إنّما...لم تبدُ مخالبُ
ولا أنيابُ للذّئب

تعلّم الصّبيُّ من الألف إلى الياء
غير أنّه يا مّا

كانَ دائمًا
أوّل الأغْبياءْ

محطّةُ الأشجار

أجلسهُ في القطار بجانبِ النّافذةِ
قريبًا من البابِ
ودّعهُ
قبل أن يتركَهُ أبوهُ
أوصاهُ

عندما ترى محطّةَ الأشجار
تَهَيّأ

كان في السّادسةِ
مَضى القطارُ بالسّنواتِ تِلْوَ السّنواتْ
عندمَا وصَل
فاتَتْهُ جميعُ المَحطاتْ

الأدغال

إلى محمد علي عماري

اليومَ...في إفريقيا... أو آسيا

قبل طلوع الشمس
نهض غزالٌ باكرا
كي يتعلم كيف يُسرعَ أكثر
فلا يلحقُ به الأسدُ

الأسدُ اِستيقظ قبله
عليه أن يتهيّأ أكثر هو أيضا
كي لا يُفلتَ منه الغزال

في أدغال الإسمنتِ والحديد
ليس المهمُّ أن تكون أسدًا أو غزالا
المُهمُّ فقط
أن تفتح عينيك
وقبل الآخرين تنطلقُ

الشّرفةُ

1
كُلّمَا دخل عبدُ المجيدِ يُوسُفُ عليهَا
وجدَ في شُرفتِها غِلالا
يقُول لها أنَّى لكِ هذا ؟
تقُول هِبةُ البَحر
الفصلُ فصلُ صَيفٍ
تَباشيرُ الخريفِ تَلوحُ
مِنْ تَخاريم الشّرفةِ
2
يومًا بعدَ يومٍ
فِي بَاكر الصَّبَاح أو فِي العَشايَا
يَطوفُ عبدُ المَجيدِ على شُجيْراتِ الشُّرفة والزّهَراتِ
يَسقيهنَّ بالقِسط مِنَ الإبريق
واحدةً تِلوَ واحدةٍ
لليَاسَمين نصيبٌ
لشَقائق النّعمان والخُزامَى والقَرنفُل نصيبٌ
للأقحُوانِ للإكليل
ثُمّ يَنزلُ مِنَ الشّرفة يسقِي صَفّ السَّرول
سَيطُول السَّرولُ بعدَ سنينَ
ويُظلّل الشّرفةَ
3
الشّرفةُ مَوعدُها
والبحرُ
لَثَمَاتُ المَوج على حفيفِ فُستانِها
صَافياتٌ ناعماتٌ
لمَساتُ رَمل السّاحل
كهَمْهسةِ النّسيم فِي النّخيل

حانَ قِطافُ العَراجين
مَدّتْ يديْها
فَإذا النّجومُ أقربُ
4
مِنْ شُرفتها أطَلّتْ
بَينها وبينهُ
خطوتان فقطْ
هي الشّمسُ
لو تقدّمَ خطوةً واحدة
كان منها اِحترقْ
هُو البحرُ
لو تقدّمتْ خُطوةً واحدة
فِيهِ كان الغَرقْ
رآها رأتهُ
رأتهُ رآها
وثلاثُ...نُقطْ

5
مِنْ شُرفتِها راحتْ تَنسابُ
مِثلَ الأنامل تَتَراوحُ عَلى النّاي
اِتّبعَتْ خُطاهُ
لَحِقَتْ بهِ
سارتْ أمامَهُ
وراءهُ سارتْ
على يَمينهِ سارتْ
سارتْ على يَسارهِ
تَحسَبُ أنّه لم يَشعُرْ بها
عجبًا
يُوسفُ يَبتعدُ عَنِ الشُّرفةِ
لمْ تَرَ ظِلَّهُ لمْ يُفارقْ ظلّها
معًا دائمًا أبدًا

6
شُرفتُها
لوحةُ سَحابٍ وسِنفُونيّةُ أمواج
ومَدًى
بحرٌ وسماءٌ
شَمسٌ تجري لمُستَقرّ لهَا
ثِمارٌ ...أزهارٌ
على كلّ شَكل ولونٍ وشَذًى
تَبارَكَ اللّهُ
أحسنُ الخالقين
7
َجلستْ في شُرفتها ذاتَ يوم
رُبّما يُوسُف يَمُرُّ
رأتْ بَالُونةً زرقاءَ
هَبّتْ ريحٌ
طارتِ البالونةُ
مَسكَ الصَّبيُّ بالخيطِ
البالونةُ تعلُو...تعلُو
الصّبيُّ يجري...يجري
يَجري والبحرَ
اِنفرط الخيطُ مِنْ بَين أصابع الصَّبيّ
طارتِ الزّرقاءُ في الزُّرقةِ على الأزرق
رجعَ الصّبيُّ من حيثُ أتَى
جلسَ تحتَ شُرفتِها
وبَكى
8
تحتَ شُرفتها ظلّ يُوسفُ يَنتظرُ
اليومَ أيضًا
ساعِي البريدِ لمْ يطرُقْ بابَها
لا جارٌ ولا جارةٌ
اليومَ أيضًا

الهاتفُ بلا رنّةٍ
ولا حتَّى بالخَطإ
9
مرّةً في شُرفتها جرَى الحديثُ
حدّثتهُ عنهُم جميعًا
الذي
والذي
الذي وعدَ أخلفَ
الذي سَافر لم يَعُدْ
والذي تقدّم توقّفَ
حدّثتهُ عنهُم جميعًا
وهو أمامَها
يَذُوبُ صامتًا
10
مَع فِنجانِها جلستْ في شُرفتِها
تَستعذبُ الوقتَ رَشفاتٍ
أينعَ الزّهرُ...اِعْشَوْشَبَ المَمْشَى
المُصطافُونَ غادرُوا
عادتْ إلى بطحاءِ القريةِ عَصا الشّيخ
وجَلَبَةُ الصِّبيان
اِنتصبتْ حَلَقاتُ المقهى تحتَ زيتُونةِ المَسجِدِ
المُصطافونَ غادرُوا
تَركُوا القريةَ في سُكونها
إلا مِنْ هَدير البَحرعَلى صُخور المِيناءِ
وصَخَبِ اِنتظار شُرفتِهَا
11
يُوسُفُ غادرَ أيضًا
يَداهَا تُرفرفان إليهِ بالوَداع من شُرفتِها
سلامًا سلامًا
جبينُها وَضّاحٌ
ثغرُها باسِمُ

حالمُ
كأنّهُ وهوَ يبتعدُ
تراهُ عائدًا نَحوَ شُرفتِها
وقبل أن يُغادرَ اِزّيّنَتْ وهِيتَتْ لهُ
ثُمّ قالتْ متَى نلتقي ؟
وأين ؟
فأسرعَ بالجوابِ
ـ الآن وهنا
ورجعَ منَ البابِ
12
كمْ يلزمُ مِن عَصر وكمْ لابُدَّ من مِصْرٍ
و مِنْ حِبرٍ ومِنْ سَطر
كيْ يصفَ أحلامَ شُرفتِهَا
وانثيالَ طيفِها
قَدُّهَا ألِفٌ
الباءُ بَسمتُها
الخاءَ خدُّها
بِالهَاءِ خَتمَ رَسْمَ أبجديّةِ البَهاءِ
فلاحَ فِي الآفاق قَوسُ قُزح
13
أتمَّ ـ لِيُونَارْدُو ـ المُونالِيزَا ـ
وبلمسَةٍ أخيرةٍ أكمَل اللّوحةَ
نظرَ فيها مَليّا
فأيقَنَ
أنَّهُ رسَمَ شُرفتَهَا

هِرقلة ـ رادس / صيف خريف 2014

ماري

اِسمُها ـ ماري ـ
مدينة النّور
اِسمُه مُنير ـ
تُونسُ الخضراء
في الحيّ اللاتيني
كان اللّقاء
بعد سنوات
ـ أمّنا مريم ـ صار اِسمُ ماري
كذا يناديها أبناؤها
بناتُها أحفادُها حفيداتها جيرانها جاراتها
والناسُ أجمعين
بعد سنين
الدكتور منير
صار لدى القوم يُعرف بالحاج منير
ولأنّه ـ لا بقاء إلا للّه ـ
ماتَ الحاج مُنير
رحِمَهُ الله
تصدّقتْ ـ أمُّنا مريم ـ بجميع ثيابه ومتاعهِ
إلاّ بسُبحتَه وسجّادِهِ
بعد أيام معدودات
دبّ إليها الوهن
ـ نحن لا نموت إلا مرّة واحدة ـ
فلا بدّ أن يكون موتُنا
جميلا
جميلا

ـ كانت تُردّد بعده ـ
وبالقُرب مِنَ الذي نُحبُّ ـ
في النّزع الأخير
أوصت ماري
أن تُدفن بجانب الحاج
ـ لا يجوز....لا يجوز
هَمس حفيدُها
وهو يلامس لحيته الطويلة
أسْبلوا عينيها
أسدلُوا الغطاء
فلاحت على صدرها سلسلةٌ ذهبية
نُقِش عليها

ـ لا إله إلا الله محمّد رسول الله ـ

بُونْجُور بَاريس

صباحُ الخير باريسُ
وبِغُنّةٍ خَفيفةٍ مَع الرّاءِ
ـ بُونْجُورْ ـ
خريفٌ قادمٌ مع أوراق شَجر الطرقاتِ
صفراءَ حمراءَ وفي لون البُرُنْزِ
مَرحَى للأرصفةِ
أعوانُ البلدية يُمَشِّطونَها كلّ صباح
ثُمّ يَرُشّونها بالخُزامَى

صباحُ الخير باريس
وبغُنّةٍ خفيفةٍ مع الرّاء
ـ بُونْجُور ـ
أهلُ مَكّةَ أدرى بشعابها
وأهلُ باريسَ بأنفاقِها أدرَى
على قَدْر طول بُرج إيفَلْ
بَلى .. هيَ في الأرض أعمَقُ
أنفاقٌ
في أنفاق
تحتَ أنفاق
ومِنْ مِيترُو إلى مِيترُو
ومن صِراطٍ على صراط
أسيرُ حثيثا على الصّراط يسيرُ
وصلتُ إلى محطة ـ نُتْرْدَامْ ـ
هُنا
الحيُّ اللاتينيُّ

نهرُ السّانِ والصُّوربُونُ
جَان بُول سارتر وسِيمُونْ دِي بُوفوارْ
إلْزَا ولويس أراغُونْ
هُنا
مَدامْ دِي بُوفاري وأحدبُ الكنيسةِ
بُودْلير وجاكْ بْريفارْ
شارلْ أزنافُور وميرَايْ
هُنا
الرسّامُون
النحّاتون
العازفُون
المسارحُ
الأفلامُ
المتاحفُ
المعارضُ
هنا
النّاسُ الغادون والعائدون
السائحُونَ
والمُشرَّدون والأثرياء
هُنا
الكتُبُ على الأرصفةِ
حَولها النّاسُ يتكدّسون
يتصفّحُون ويشترُون
هُنا
على ضَفّة النّهر
المكتباتُ مكتبةٌ بجانب مكتبةٍ أمامَ مكتبة
اِقرأ....اِقرأ
يقرؤون...
في المحطات يقرؤون
في المِترُو يقرؤون
في الباصِ
في المقهَى

في المطعم
في الحدائق
في الطائرة
يجلسُون يقرؤون
يمشُون يقرؤون
ينامُون يقرؤون
حتّى المتسوّلُ ـ واللّهِ ـ رأيتُه يقرأ
...وأمّةُ ـ اِقرأ ـ لا تقرأ
فقط
تتفرّجُ في المُسلسلاتِ
وشُيوخِ التلفزيون

صباحُ الخير باريس
وبغُنّةٍ خفيفةٍ مَع الرّاء
ـ بُونْجُورْ ـ
الأبيضُ الأسمرُ الأصفرُ
إفرنجٌ جَرمانُ عجمٌ زنجٌ بربرٌ عربٌ
أرمَنُ غجر حبشٌ صَقلبٌ أمريكانٌ
هاوايْ صينٌ يابانُ
مِللٌ نِحلٌ مذاهبُ وأديانُ
خلاصةُ الزّمان والمكان
الذي بِربطةِ عُنق الذي بجينز الذي بلحية
الذي بقميص الذي بشعر طويل الذي يَعقُصُهُ
الذي يُرسلُه والأشعثُ والأصلعُ
الذي بقُبّعة الذي بعِمامة
والتي بِفُستانٍ التي بسروال التي بلباسِ طويل
التي بلباسِ قصير التي بشُورْتٍ التي بِشال
التي بخِمار التي بجلبابٍ
والتي كأنّها بلا ثيابِ

صباحُ الخير باريس
وبغُنّةٍ خَفيفةٍ مع الرّاء
ـ بُونْجُور ـ
أسيرُ ونَهْرَ السّانِ الهُوينَى
وئيدًا والنّهرُ يجري
مع ـ الأيّام ـ وطهَ حسين ـ أسيرُ
مع ـ توفيق الحكيم ـ و ـ عصفُورٌ من الشّرق ـ
طارَ ولم يَطر
حتّى إذا خرجَ ذات يوم منَ القفصْ
وقُلنا هذه آخرُ الفُرصْ
نتّفوا ريشَه
ثمّ أجهزُوا عليه
بالسّيوف
بالسّكاكين والمِقصْ
أسيرُ
عكسَ جريان النّهر
والشمسُ على جبيني
يُقابلني ـ معهدُ العالم العربيّ ـ
أسيرُ
في كل شِبر من بلاد العَربِ حربٌ
أو فتنةٌ
أو شِقاقْ
بين إخوةِ ورفاقْ

صباحُ الخير باريس
وبغُنّةٍ خفيفةٍ مع الرّاء
ـ بُونْجُورْ ـ
قُلتُها وأنا أدخلُ المقهَى المُقابلَ
وهَل أحدٌ رَدّ التحيّةَ
بِمثلِها
ولا بِأحسنَ منها

بالأحمر على الأبيض المتوسط

السّادسةُ صباحا
دون أن يغسل وجهه
فتح التلفزيون
للصّباح حُمرةُ الشّفق القادم من الشّرق
سيَشرُقُ اليومَ دمًا أيضا
تسبح فيه سُفنٌ
سُفنٌ تُرفرف حريّةً ودواء وغذاء
لغَزّةَ

طائراتٌ لا تطير كالحمام
طائرات لا ترفرف كالعصافير
طائرات لا تشدُو كالبلابل
طائرات من أزيز ورصاص
إذنْ لغزةَ المزيدُ من النار والحصار والدمار
لغزة المزيد من الجوع والعطش
لغزة المزيد من الظلام
فاِسعَدُوا يا عرب
اِهنؤوا بالصّيف على السواحل
بالمهرجانات والأسفار
بالفنادق والرّقص
بالفصاحة والشّعر والجوائز

هنيئا بالّنفط والزّيتون
هنيئا بالعمائم وبالمذاهب والملل

هنيئا بفتوى الرضاعة والمِسيار والتّوريث
هنيئا بحريّة النّساء في لباس العراء
هنيئا بإِقتصاد السّوق وسباق النّوق
هنيئا بالشّقاق و النّفاق
هنيئا بالوطن نفديه من أجل كرة القدمْ

وغزّةُ
صباحٌ آخر من حصار
وموجةٌ أخرى
من دمْ

سيدي رزيق 1958

عندما تَرتقي الشّمسُ من النّافذة أفتحُ البابَ
محفظـتي في يدي واقفًا أنتظر

يمرّ أوّلا الخبّاز
على أزيز دراجته
أطير وراءه مُتنسّما شذاه الشهيَّ
يتلوه المِسْيُو ـ جاك ـ
تتأبطه مَدام ـ جاكلين ـ على كعبها العالي
هو... قبّعةٌ سوداءُ
هي...حقيبةُ يدٍ سوداء

ـ بَانجُور
ـ بانجُور

الحقَّ أنّهما لطيفان
هُما المبادران بالتحيّة
في أكثر الأحيان
هُما
آخرُ الإفرنج
قريبا ـ قِيل ـ سيرحلان

عندما يختفيان في المُنعَطَف المُنحَدِر
تَصِلُني جَلجلةُ قَطيع البقر
الرّاعي وراءَها
أو يُهرول بينها
وهل أنسى أنه مرّةً كسّر عَصاه على الثّور وهو يعلو إحداها
فَطَفِقْنا نضحك

عندما يختفي قطيعُ البقر في المُنعَطَف
يُطلّ قطيع الغنم مِن على الرّبوة
الكلبُ المُرقّط النّشيط
يُلاحق صغارَ الماعز المتخلّفين
الذين يأكلون من سياج الحدائق

عندما يصل النّيسُ إلى المُنعطَف
تَسبِقُ الراعيةُ الصّغيرة
وجنتُها حمراءُ
أحمرُ من قُرص الشّمس الطالع من وراء الهضبة
تُسرع الرّاعيةُ بعصاها التي هي أطولُ منها
إلى مَقطع سكّة الحديد

ينبغِي
أن تَنتظرَ الصبيّةُ هناك

عند قُبّة الوليّ ـ سيدي رزيق ـ البيضاءِ الصّغيرةِ
حتّى يفوتَ قطار البضائع الطويل البطيء
ما يكاد قطيعُ الغنم يختفي
حتى أسمع صفيرَ القطار
يَصِلُ القطيعُ
قَطيعُ المَحافظ والمَيدعات الزّرقاء
إثنين إثنين
ما بالُهُ اليومَ في صمتٍ ونظام
حتّى دقاتُ الأحذية
خفيفةُ الوطء
كان يومَذاكَ يومَ اِمتحانَ الحساب وما أدراك ما يومُ الحساب

ـ هيّا يا أولاد ...أسرعُوا...أسرعُوا
و يَهُشّ علينا راعينا... بالعَصا

باريسيّات

ـ 1 ـ مفاتيح

عاشقان اِشتريَا قُفلا
قصَدا جسرَ ـ الوفاء ـ
ثمّ ...واليدُ في اليدِ معًا قفلاهُ
في الحديد شَبكاهُ
تلك ـ قيل ـ عادةُ العشّاق في باريس
وتعاهدا معًا أبدا
معًا أبدا

ثم ألقيَا بالمفتاح في النّهر
ما كاد العاشقان يبتعدان عن الجسر
حتى رمى صنّارتَهُ
....صيّادُ المفاتيح

ـ 2 ـ لمسات

الرّيحُ على النّهر
تُراوحُ موجَهُ كمفاتيح البيانُو
وبلطفٍ
تفتحُ أناملُها أزرارَ الفساتين

ـ 3 ـ ديك وحمام

فِي أعلى كنيسة ـ نُوتُردام ـ
صَليبٌ
على الصّليب دِيك
كل شيء يبدُو في صمتٍ وسكون
حتّى ذيلُ الدّيك لا يميل مع النّسيم
حتّى عَقْربا السّاعةِ الكبيرة
بين الصّومعتين
ثابتتان فوق بعضهما
فجأةً
دقّتِ الأجراسُ

فطارتْ أسرابُ الحمام
وعَلَتْ
علَت
فوقَ الدّيك

ـ 4 ـ صدى الجسر

على جسر ـ نابليون ـ
عَبَرَ نابليون عند تدشينه
ومن يومئذٍ
ليلا نهارًا
جيئةً ذهابًا
يعبُر الفرنسيّون والفرنسيات
والسّائحون والسائحات
ومرّت السّنوات
ولا أحدَ يذكر ذلك الثائرْ
مِنْ على الجسر أُلقيَ به
وهو يهتِف
ـ تحيا الجزائرْ !

ـ 5 ـ دمعة النّبع

نبعُ سَانْ مِيشَالْ
ينهمرُ سَيلاً عَرَمْرمًا من عَلٍ

والنّاسُ جُلوسٌ حوله
وطائفُون

توقّف فجأة

عندما فاضتْ أمامه
عينٌ
مِنَ الدّمع

ـ 6 ـ بُرج إيفل

ما أشهَى الاِنتحارَ من أعلى بُرج إيفل
...وألقتْ بنفسها من الطابق الأخير
راحتْ تَهوي
تهوي
من طابقٍ إلى طابق
من سَطحٍ إلى سطح
حتى غطستْ في عُمق نَهْرِ السّين
لم تكن تعلمُ أنّ أنفاقًا
تُفضي إلى أنفاقٍ تحتها أنفاق
تحت النهر
وفيها مصعدٌ تِلوَ مصعدٍ
عندما وقعتْ
راحت تعلُو تعلُو
حتى اِرتقتْ
فعادت
إلى أعلى بُرج إيفل

ـ 7 ـ سوادٌ بياضٌ

العصفورُ الكبير
بِذيله الطّويل
بسوادِه والبياض
يحُطّ كل صباح وعندَ المساء
على شُرفتي
لا أدري ما اِسمُه
أَلَيلُ النّهار ؟
أَنَهارُ اللّيل؟ أُسمّيه...
فناديتُه صديقِي

ـ 8 ـ بلا عَجب

ليس عجبًا ترى في باريسَ
الشّيخَ الكبير
أو السيّدَ الوقُور
أو الطفل الصّغير
يمشي
وكلبُه أمامه أو بجانبه أو وراءه

ليس عجبًا ترى في باريس
العجوزَ على العصا

والسيّدة الحسناء
والغادةَ الهيفاء
تُداعب كلبها
وهو في الأحضان في عِيشة راضية

العجبُ
بل الأعجبُ في باريس
أن لا تسمعَ نُباحَ كلب
أبدَا

ـ 9 ـ أجمل من باريس

أجملُ من باريس
حدائقُها
اِخضراُر... أزهارٌ... أطيارٌ...شمسٌ... ظلالٌ... خريرُ... مِياهٌ
وأناملُ
بعضُها في كتاب
بعضُها في هاتف
بعضُها في لعبة
بعضها في إسمنت وحديد
بعضُها في باقة ورد
وبعضُها في بعض

ـ 10 ـ قاب قوسين

عجبًا للحمامة
منذُ دقيقة وهي على حافة الشّارع الكبير
تهُمّ أن تقطعَ الطّريق
ثمّ تتراجعُ أمام سيل السيّارات
تعجّبتُ لماذا لا تطير
نحو الحافة الأخرى
في أمن وسلام
ومكثتُ أراقبُها وهي في جيئة وذهاب
حتّى قاربتْ مرّةً أن تصلَ المُنتصفَ
وقابَ قوسين أن تدوسَها العجلاتُ
التقطتْ فُتاتًا
وطارتْ

الفاتحة

الأعشابُ
تحت شمس صباح العيد
رغم الصّيف
خِضراءُ يانعةٌ
أُمَرّر فوقها أناملي
مِثلما كنتُ أداعبُ خَصَلاتِ أمّي

عند رأسِها تربّعتُ
مددتُ يدي
أُشابك أصابعي

ألاعبُ أقراطها
أستنشِقُ طيبها ... أتأمّل سِواكها
في تَمام زينتها دائما أمّي
أمكُث في أحضانها أحلم
تُهدهدني
أنام

أفقتُ على البياض
سَحبتُ أصابعي
و سَوّيتُ الأعشابَ الزّائدة

سلامًا
سلاما لجبينها
سلاما لوجنتيها
سلامًا لحُضنها
سلاما ليديها
سلاما لقدميها
لتَوّها من الغيمةِ البيضاء عائدة

...وقبّلتُ الشّاهدة

حُــروفُ اللــمس

إلى الأزهر النفطي

الألف نُقطة
الباء ثِنْتان
السّينُ ثلاث
الشّينُ ثلاثٌ من الأسفل
عَلّمْنِي يا صديقي حروفَ اللّمس
فقد جَفّ الحبرُ وحَرُنَ القلمُ
واِخْشَوْشب الورقُ
رنّةٌ أولى
قبل الثانية يُبادرني
ــ صباحُ الخير
ويُضيف
ــ صباحُ الخير صديقي
ــ صباحُ النور يا دكتور
كأني أراه ساطعًا في بسمته

هو الأزهرُ
ينزل مَدرج الرّخام
في نظارته يبتسم وَقُورا
ثابتا في خطوته جَسُورا
بالأحضان يُعانقني

نَمضي
شوارعُ تُونسَ يُسمَيها
واحدًا واحدا
قبل المُفترَق يقف
تَمهّلْ يقول
للّه درّهُ
كيف رأى الشّاحنة قادمةً من بعيد

كيف عَرف أن التي مرّت حسناء
للأزهر أسرارٌ

عجبًا
كيف اِنفرطتْ أربعون من السّنوات
مِنْ بين الأصابع
والأزهرُ هو الأزهرُ
حتّى شيبٌ ما غزاهُ
هيَ هيَ عصاهُ
ووقعُ خطاهُ هيَ هيَ
مِنْ رواق إلى رواق
من طابق إلى طابق
من مَدرج إلى مَدرج
لم يُخطئْ مرّةً جدول الدّروس
وما غاب يوما
نسأله فيكون الدّليل

ــ مَالكَ صامتٌ يا صديقي
فتنهّد قائلا
– تونسُ تونسُ
ولم يُضِفْ
ورِفْقًا به لم أسْتزِدْهُ

اليدُ في اليدِ
إلى مَقهى شارع النّخيل قال
وقَبل الوصول يَهُبُّ النّادل
ــ أهلا دكتور...أهلا دكتور

القطار الأخير

وَيحِي
لم أتذكّر أين تركتُ مفتاحَ السيّارة ؟
عُدتُ القَهقرى أفحصُ جميع الأماكن
حيثُ مررتُ
وقفتُ
جلستُ
*
شكرًا لنادل المَقهى
من بعيد لمَحني أسعَى إليه
فهَرول نحوي بالمفتاح
خُذِ المفتاحَ بقُوّةٍ يا سُوف
واِقبضْ عليه في جَيبكَ
ويحك !
أين ركنتَ سيّارتَك ؟
في مستودع الشّارع ؟
لا
في المَأوى تحتَ الجِسر
لا
بالقُرب مِنْ...أو مِن...؟
لا
لم أتذكّر
قرّرتُ العودةَ بالقطار
ويحي
في أيّ محطةٍ سأنزل ؟
حسنا
سأعرفُ بتَذكرة الرّكوب

*
تلمّستُ جَيبي
خواءٌ في خلاء
لا بأسَ
ربّما في العربة مَنْ أعرف
أوْ مَن يعرفُني
نَظرتُ...اِلتفتُّ
لا أحدْ
نزل جميع الركّاب مِنَ القطار الأخير
بَقِيتُ وحدي

صباحُ صيفِ المدينة العتيقةِ

خُطاها حِذْوَ خُطاهُ
مَثْنَى مَثنى سَارَا معًا
حفيفُ فُستانها يُراوح لفحَ شمس الضّحى
عند مُنعطف الزّقاق هبّت نسمةٌ
رَفرفَ فَستان
على البُستان
*
ذاتَ صباح
ظلّان مَرَّا في بياض جَدْران المدينةِ العتيقةِ
غَمامٌ وغمامةٌ
تلامسَا
تحت سماءٍ زرقاء

ذاتَ صيفٍ
*
جِيدُها جيدُ غزالهْ
هيَ الحمامهْ
حَطّتْ على صدرهِ
أسْبلتْ جناحيها
ونامتْ
سلامًا...سلامَا

من وصايا الفارس القديم

الملكُ الذي لم يعُدْ قادرا
على اِمتطاء
صهوةِ الحصان
عليه أن يتخلّى عن العرش
والرجُلُ الذي
لا يستطيع
رفعَ التي يحبّها
في أحضانه
غيرُ جدير بها

شهرزاد الثانية

ألا...ما بعيني رُقـادُ * فــمَرحى لنا يا سُهـــــادُ
شُجُوني حريرُ المساء * تُعطّرُها شَـــــهـــرزاد
وهذا البهاءُ بعــيني * كفَى أن غَشاها السّـــواد
فكنتُ إذا لاحَ نَـــــجمٌ * دعاني إليه القَــتـــــاد
وقَلّبتُ جنبًا بجــنــبٍ * تَراني بـحُلمي أُصــادُ
شُفِيتُ من العشق كُيًّا * وجاء إليَّ الـرّشـــاد

خَبَتْ نارُ صدري تَلاشتْ * وهيهاتَ يُرجى الرّماد
فَلا الـصّبُّ باتَ بليلي * ولا يَصطليني الفُــؤادُ
زرعتُ قصائد عُمري * فـأدمَى يديَّ الـحصـاد
هو الشّعرُحبرُ العُيون * جبِـالٌ بَكــت ووهــاد
ورُبَّ دُموعٍ لِصَخر * فقد أَنَّ حتّى الجَـــمــاد
إذا ما دَعانَي نــديم * تباعــدتُ مَـــالي ودادُ
جفَوْتُ جفاءَ النُّفور * مَذاقٌ لـــكأسي كسـاد
أقول لهُ دَعْ لأخرى * وعُــذرًا بنفسي صِــفاد
ليالي الخَفافيش طالت * وبالصّبح حَطّ الجراد
وخيلي بدُون صَهيل * إلى المَجزراتِ تُقـــاد
لها حَمْحماتُ الجُمُوح * فُتُوحٌ لـــها وعَـــتاد
هي اليوم صَرْعى تئنُّ * عليها غِلاظ شِـــداد
وـ طارقُها ـ في القيود* وللبيع عَــبدًا مَــزاد
فكمْ من شُعوب تُساقُ * على الشـهوات تُبادُ
ليَسعدَ عُبّادُ حُــكم * ويشقَى بعَسفٍ عِــباد
وفي كل عصر نراهُم * كأنّ العــذاب يُعــاد
فهذا بشرق طــغَــى * وذاك بغرب فَــساد
إلى أين نمضي ومَــــــا بين نارٍ وجمرٍ حِـياد
أَلَا يا نُجـــومَ الليالي * أفِي نَجمِكنّ نَــفاد
أسائلها فأجابـــــت * ببسمتها شـــهرزادُ
نَـعمْ ذاك دربُ النّضال * وبالعَزم يأتي المُـرادُ

المُهرة

ومُهرةٍ تَبختـــــرتْ * وفي البَراري حَمْحَمتْ
بغُرّةٍ قد أبْهـــــرتْ * بِخَطوِها قد زَلزلــتْ

لاطفتُها ما اِسْتلطفَت * أصيلةً ما أُسرجـــتْ
من العِتاق جُـــوّدت * فأرعَـنَـت وأرْعَـــدتْ
وأتْـعبتْ وأعْـتَـبَـــتْ * بدمعةٍ قد أتْبعـــتْ
يا لـيتها ما أُذْرفَـــتْ * فَفِي الفؤاد أنشَبــتْ
وبعد لَأْيٍ أذعـنـــت * إلى عِناني اِستسلمـتْ
مُنقادةً وأقبلـــــتْ * بِسَرجــها تَبخْـتــرتْ
عَـــلــوتُها فَضَبّحَـــتْ * وكالبُراق جَنّـــحَــتْ

الفنجان

فنجانُها أشجانُـها * والشّرفةُ عُنوانُــهَا
وحيدةٌ في رُكنِها * أطيافُها أحزانُـــهَا

تَرشّفتْ سوادَها * فَشَعشعَتْ ألوانُـهَا

شَهدةٌ

وَجاءتْ...كمـا * ربيعٌ وحَـــــــــلْ
قَوامٌ هـَــفَـــا *وورِدٌ وفُـــــــــلْ
وروضٌ زَهَـــا * كَساهُ الخَـــجلْ

بِلحن الخُطى *وأبهَى حُـــــلـــــلْ
وشَعرٌ سَجَـــا * وماجَ الكَـــفَـــــلْ
ووجهٌ بَـــــــدا * كبدرِ اكْتَـمَـــــلْ
بِثَغرِ السَّنَـــــا * صَفِـيــفِ الـــلَّأَلْ
شِفاهُ اللَّمَــى * كَشهدِ العـــســلْ
أَلَا هَـــلْ دَرَى * بقلبي أمـــــــــلْ
وكيفَ متَـــى * جَناهَا الـــقُـبَـــلْ ؟
أجابـتْ ـ بِلا ـ * كَفاكَ الـــغَـــــزلْ !

الفُستان

قد أقبلتْ في الموعـدِ * وشَعْشَعَتْ ألوانُــهَا
بِالاِبتسامِ أَشْرقَـــــتْ * فَأثمرتْ أغــصانُــهَا

وَأيْنعتْ غِلالُـــهـــــــا * وَلاحَ لي أَوانُـــــهَا
وعينُها تَـغَـــنّجـــتْ * ظمآنةٌ شُـــطآنُـــهَا
لكنّها تَمـــــنّـــعـــــتْ * لا بُدَّ لي إذْعـانُـــهَا
هَيهاتَ أَنْ أُصـــــدّقَ * مَا قالهُ لـــــسانُـــهَا
فَالمُهرةُ إنْ حَمْحَمَتْ * يَسُوسُهَا فُرسـانُـهَا

صورة

أُحبُّ أناسَ الكرام بصدق * ويُعجبني في الحديث الوَقُور
بعيدا أظل وحيدا ولكـــنْ * مع الخِلّ يبدُو عليّ الــسّرور
أليفٌ لكـل أليفٍ وفِـــــيٌّ * أطيعُ هواهُ ومهما يُشـــيـــرُ ؟

من العتيق

وقالت كَبُرنا وراحتْ * سنينُ الهوى يا صديقـــــِي
فقلت لها لا تبـــــالي * فإن الهوى في العـــروق
وكالخمر ـ قـــــالوا * وأجْودُها من خَبايا العتيــقِ ؟

العمارة

يا ليتَ سُكنى مَغـــــارهْ * لا جَورُ جـارٍ وجـــــــــــارهْ
أعرابُ زحفٍ كـــــأنّـا * ضاعتْ لدينا الـــــحضـــــارهْ
مهارسُ عند رأســـــي * ليلِي لدقّ الحـجـــــــــــارهْ
أنعِمْ بـــــــه سقفُ بـــــيتٍ * عليهِ جَيشٌ وغـــــــــارهْ
ما الشّعرُ أجْدى لنـــــفع * فالرّبحُ فيه خـــســـــــــارهْ
بيتـــا وبيتا بَـنـيـــتُ * عُمري مَضى في الــعبـــــارهْ

كانون

في مساءٍ مُؤنـس * رغمَ بردٍ ومـطـــرْ

قد تدفّأنا الصَّفَـا * وقَطفنا مِنْ ثمَـــــرْ

يَا لهَا مِن مُتعةِ * أَذهَبتْ عنّا الـــــكدَرْ

المِشكاة

لبستُ الزّمانَ سَداهُ قَشِيـــــــبُ
فأبلَى السّنينَ وشَبَّ المَــشيـــبُ

عَلى كلّ ريح نَشرتُ جــناحِـــــي
طوَيْتُ الجِواءَ ورُحتُ أجـــــــوبُ

ويَمّمتُ وجهي لشَرق وغَـــــــرب
مَع الفجر أسِري وخَـــطوي دَؤوبُ

فكمْ من فِجاج القِفار قطعْـــــتُ
تَوالتْ بِيَ البِيدُ وهيَ جَـــديـــــبُ

على قابِ قوسيْنِ كنتُ سأهـــــوي
وفي غَيْهَب السّفح كِدتُ أغيـــبُ

ولكنّهُ اللّهُ لمَّا اِســتغَثــــــــتُ
فمَدّ يدَ العون وهو القريـــــــــبُ

بِجِــفْظِ الإلهِ اللّطيفِ نَجَـــــــوتُ
وقاصدُ فَضلهِ ليْسَ يَخيـــــــــبُ

فسُبحانَهُ اللّهُ وهو الرّحــيـــــــمُ
هَدانا إليهِ رسولٌ حـــــبيـــــــبُ

نَبـيٌّ أبِـيٌّ وَفِــيٌّ حَــفِـــــــــيٌّ
وبالــمؤمنينَ رؤوفٌ لـــــــبيـــبُ

حَميدُ السّجايا كريمُ العـــــطايــا
مُقِيلُ الخَطايـــا أمِينٌ أريـــــبُ

فَصيحُ اللّسان سَديدُ الـــــبيـــان
فَمَا مثلُهُ شاعرٌ أو خـــطيـــــــبُ

هو المُصطفى فالصّلاةُ عليـــــــه
ومسكُ السَّلامِ وطِيبٌ سَكيـــبُ

إلاهِي أنِلْهُ مَقاما حَـــمِيـــــــدًا
وعدتَ, صدقتَ فأنتَ المُجيـــــبُ